

كتب فيرو في ما يتعلّق بهذا الجانب :". لقد كانوا جميعا ولفترات طويلة متمرّدين على جميع السلطات الحاكمة، 11 لقد كتبنا قبائل بالياء في مقابل Kabyles، وكتبنا قبائل بالهمزة في مقابل Tribus. وكان أن حصلنا (يقول فيرو) على الوثائق التي أشرنا إليها وعلى إيضاحات هامّة حولها جمعناها من هنا وهناك ونرى أنّها ذات قيمة تستدعي نشرها، ولكن يمكن استخلاص أنماط تفكير وذهنية هذا الشعب البدائي منها10" قبل الاحتلال الفرنسي كانت قبائل بلاد القبائل الشرقية 11 المتحصّنة في جبالها، وكلّ قبيلة مستقلّة عن الأخرى ولا تخضع إلّا لجماعتها، فلم تكن لأولئك البايات القوّة التي يمكن أن يسيطروا بها على تلك البلاد الجبلية12، وفي هذه العزلة والاستقلالية التي عاشت في ظلّها هذا القبائل قرونا متتالية ظهر قانون عرفي مستمدّ أكثر من تقاليد هذا الشعب البربري القديمة،